إيطالي!» ولو خذلها المسئول وقال إنه لا يعرف العمارة تقول: «دقيقة واحدة»، تتغيب خمس دقائق تعود بعدها بنفس ملابسها وإن استبدلت بخفها المنزلي حذاء وتمسك بيد الرجل أو المرأة وتأخذه إلى العمارة الواقعة على تقاطع شارع الشريفين وشارع قصر النيل المجاورة لبيتنا).

أما مسطرة فرانشيسكا الثانية فطبقية صارمة رغم أني لم أشاهدها ولم يشاهدها أحد من سكان العمارة إلا بتلك الملابس المنزلية البسيطة التي تتشابه في نوع القماش والقصة والتفصيلة. تحترم فرانشيسكا الناس أو تزدريهم حسب ملابسهم، تقول: «تريه شيك»، تنفرج أساريرها ويشرق وجهها، أو يتجهم وتظهر عليه علامات القرف والاشمئزاز وتقول: «ذوق معفّن!».

وعلي جانبي هذه المسطرة، علامتا قياس ثابتتان: آديل في ناحية، وموسيو ومدام بهلر في الناحية الأخرى، أما البوابون والشغّالون والحرفيون والفلاحون، (أعني عم عبده البواب، وخادمتها نبوية، وأسطى فريد صاحب المشغل الذي تتعامل معه لصنع العراوي، ومبروكة الفلاحة التي تحمل لها حاجتها من البيض والجبن والزبد مرة كل أسبوع) فكانوا خارج القياس.

ويبدو أن السيد والسيدة بهلر خلّفا لفرنشيسكا تركة ثمينة من الذكريات والمشاعر، يغيم وجهها ويضيء لمجرد ورود الاسم في حديث لها أو لغيرها. اصطفتها الأسرة لتفصيل ملابس الزوجة والابنة، فضلتها على كل بيوت الأزياء، لا في مصر وحدها بل في سويسرا وفرنسا. والأرجح أن فرنشيسكا حولت شعورها بالعرفان والامتنان إلى انتماء إلى آل بهلر يتجاوز محبتهم إلى الشعور بالشراكة فيما حققه المسيو بهلر من أمجاد، العمارة ذات المداخل الستة المواجهة لبيتنا، الممر بمواكيه ومحلاته الأنيقة، الفنادق العديدة التي امتلكها الرجل بما فيها الكُزموبوليتان الملاصق للعمارة التي نسكن فيها، كلها بدت إرثا عائليا يملؤها اعتدادا ويتطلب منها الحفاظ عليه بدوام ذكره والإشادة به والولاء لقيمته. ولا أدري إن كانت فرنشيسكا التقت بالسيد بهلر أم كانت تروي أخباره